مناقشة لتصريحات بشير البرغوتي

الحركة الوطنية الفلسطينية بين نهجين:

① النهج التطوري المساوم

② النهج الجذري المقاتل

« ان طبقة مضطهدة لا تسعى الى التعلم على استخدام السلاح ، الى حيازة السلاح ، لا تستحق ان تعامل الا معاملة العبيد » لينين .

وباستمرار لدى محاكمة اي مرحلة تاريخية في حياة اي شعب تصدرت فيها حركة الفعل السياسي والعسكري مجموعة من الاحزاب ، والفصائل الثورية والوطنية ، كانت الظاهرة البارزة وتمييزها عن بعضها البعض على الاصعدة التالية :

وتتميزها عن بعضها البعض على الاصعدة التالية :

١ـ الخط الايديولوجي والتنظيمي والسياسي .

٢ـ البنية الطبقية .

٣ـ اشكال الممارسة العملية لترجمة الخطوط اعلاه وعلاقاتها وتحالفاتها .

ولقد دلت التجربة الحسية ان هذا الانقسام والتمييز عكس نفسه على بنية وهوية احزاب وفصائل الساحة العربية والفلسطينية .

ولقد شكلت هزيمة حزيران ٦٧ نهاية مرحلة تاريخية خضعت في اكثر من وقفة لمحاكمة نقدية صارمة لنمط من التعبيرات والقيادات السياسية والممارسات في الساحة وهذا موضوع آخر ، وبعد هزيمة حزيران بدأت مرحلة جديدة من عمر النضال الوطني الفلسطيني وتعبيراته حيث تبلور نوعان من التنظيمات والفصائل :

١ـ التنظيمات والفصائل المقاتلة :

وهي تضم القوى والتنظيمات التي آمنت بالثورة المسلحة بعد ان لمست لمس اليد بنتيجة الهزيمة « الحزيرانية » ـ وهزيمة انظمتها ـ عقم اساليب النضال التي كانت متبعة قبل حزيران ٦٧ ، وكان في ذهن قيادات هذه التنظيمات التجارب الثورية الفذة والناجحة في هذا العصر (الفيتنام ، كوبا ، كوريا) التي آمنت بالعنف المسلح طريقا وحيدا لحسم تناقضها التناحري مع اعدائها القوميين ، والطبقيين ، بالاضافة الى النضال على الجبهة السياسية .

واصبحت هذه القوى هي المظهر الرئيسي الفاعل في الساحة الفلسطينية والذي يمتلك رصيدا واسعا من الجماهير والحلفاء والفعالية ، وتعبر بهذه النسبة او تلك عن طموحات الجماهير الفلسطينية الراغبة في التحرر والعودة .

٢ـ النوع الثاني من احزاب الساحة الفلسطينية :

(احزاب النضال السلمي والتعايش الديمقراطي) ـ وابرزها الحزب الشيوعي الذي كان ولم يزل عمليا يؤمن بان حسم التناقض مع العدو الصهيوني وتحرير فلسطين يكون باتباع اساليب النضال التطورية والسلمية المطلبية ، وانه في المدى الاستراتيجي ستفرز تراكمات الحركة السياسية والاجتماعية والنضالية لقوى الصراع صعود البروليتاريا ممثلة بحزبها « الطليعي الشيوعي » الى قمة الهرم « السلطوي » في اسرائيل ، وفي اكثر من منطقة عربية ، وساعتئذ ستتحالف البروليتاريا الفلسطينية ، والعربية ، والاسرائيلية بمنظور ماركسي ـ لينيني (من وجهة نظرهم طبعا) وبفهم متقدم وتحل حينذاك معضلة الصراع التاريخية بين « الشعبين الاسرائيلي والفلسطيني » .

ورغم تجربة « الانصار » الفدائية والتي مثلت حالة نوعية متقدمة لقسم من الحزب الشيوعي الا انها سرعان ما انطفأت ولم تعش طويلا بحكم التناقضات التي تفاعلت داخل الحزب .

بعد حرب تشرين اصبح لهذا الحزب دورا مشاركا مع القوى والفصائل المسلحة المهيمنة على منظمة التحرير الفلسطينية ومؤسساتها ، واصبح يدعو الى الالتفاف حول منظمة التحرير وبرنامجها السياسي والتنظيمي ، الا انه عمليا بقي امينا لاستراتيجية الاسلوب التطوري والسلمي .

وشهدت الساحة الفلسطينية والعربية اثر « الحرب التشرينية » موقفين سياسيين ازاء التعاطي مع مسالة التسوية السلمية المطروحة والقائمة على اساس قرار مجلس الامن ٢٤٢ وملحقاته ٣٣٨ ، ٣٣٩ .

١ـ موقف رافض للتسوية السلمية المطروحة والاساس الذي تقوم عليه ، وموازين القوى التي تتحكم بمسار هذه التسوية ، ويدعو هذا الفريق الى احباط التسوية واسقاطها الشرعي وينادي باستمرار الكفاح المسلح ويدعو لوحدة وطنية حقيقية وثورية اساسها الموقف السياسي الرافض للحل السلمي المطروح ، ولقد طرح هذا الفريق البديل « جبهة القوى الفلسطينية الرافضة للحول الاستسلامية » ودعا الى قيام جبهة وطنية فلسطينية مقاتلة ، والى اعتماد حرب التحرير الشعبية ، وتعبئة الجماهير ، وتسليحها والى بلورة جبهة اسناد عربية ـ وعالمية داعمة ومؤيدة لموقفها السياسي الثوري ، وان التسوية المطروحة تسوية امبريالية رجعية .

٢ـ الموقف الاخر ـ هو الموقف القابل بالحلول والتسوية المطروحة ، وبالاسس التي تقوم عليها ، وان النضال على الجبهة السياسية ومن خلال التعاون مع « الاشقاء العرب » المصريين والسوريين والسعوديين واعتمادا على « حلفائنا » فان التسوية ستفرز « سلطة وطنية » كما ان الثمن المطلوب مرحليا يمكن قبوله ضمن استخدام افضل « التاكتيكات وابرعها » ، ولا بد ان يكون موقفنا « ايجابي » من الذي يدور في ساحة الصراع ، يعني « ايجابية القبول بالمطروح » ، وهكذا احتدم الصراع ـ ولا يزال ـ بين الموقفين السياسيين ، والذي عبر عن نفسه باشكال مختلفة .

تصريحات مشبوهة :

وفي الاونة الاخيرة برزت في الساحة الفلسطينية ظاهرة خطرة مفادها تصاعد تصريحات وبيانات وتحركات بعض مندوبين وقياديين عن احزاب وقوى الفريق القابل بالتسوية السلمية المطروحة والتي لعبت ولم تزل فيها الامبريالية الاميركة دورا بارزا ورئيسيا .

كان آخر هذه التصريحات لعناصر مسؤولة في منظمة التحرير الفلسطينية ممثلة بمندوبها في لندن المدعو سعيد حمامي (ومعروف انتماءه السياسي) والذي دعا الى تشكيل حكومتين اسرائيلية ، وفلسطينية (في الضفة والقطاع) وان تتعايش الدولتان ضمن اطار من علاقات التعاون السياسي والاقتصادي ـ وخطا الحمامي استراتيجية الكفاح وحرب التحرير الشعبية واوضح بانه ليس انجح طريق للتحرر وثبت بطلانه وان (دولة الشراكة) ضمن اسلوب المفاوضات الودية بين الفريقين « الاسرائيل والفلسطيني » هو الطريق الذي لا مناص من اتباعه ، ويجب النضال من اجل ذلك ، واثار يومها تصريح الحمامي موجة من الاستنكار والادانة الحازمة لسلوكه وتصريحاته ، واعتبرت الاوساط الثورية ان مثل تلك التصريحات لمندوب المنظمة « الذي لا ينطق عن الهوى » ليست معزولة وان مسار التسوية والتحركات الجارية لتنفيذها ، وان ما يدعو له الحمامي ليس الا دعوة علنية لالقاء السلاح ، وايقاف الثورة المسلحة لشعبنا عند حدود القرار ٢٤٢ ، ٣٣٨ ومؤتمر جنيف فالمفاوضات والصلح مع الكيان الاستيطاني ، ولقد روج الحمامي مندوب المنظمة بتهمة الخيانة والتفريط الواعي .

تصريحات بشير البرغوتي :

وعلى الجانب الاخر ، التصريحات هذه المرة لها طابع خاص ، ومن احد الرموز القيادية الواعية ، والملتزمة ، ومن داخل الارض المحتلة . فبين ايدينا الان صحيفة « الاتحاد » الناطقة بلسان الحزب الشيوعي في الارض المحتلة (وتاريخها الثلاثاء ١٩٧٥/٢/٢٥) ، ومنشور بها حديث مع « الرفيق بشير البرغوتي » وهو عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي الفلسطيني (الاردني سابقا) . ولقد تضمن حديثه مجموعة من القضايا الخطيرة ، والتي تحتاج للمناقشة ، ووضعها في اطارها الصحيح ، سيما وانها تصدر من عضو قيادي مسؤول ومست اخطر القضايا ، واكثرها حساسية ومركزية « قضية الوطن ، والصراع العربي ـ الاسرائيلي ، جدوى طريق الكفاح المسلح » ، ومن جهة اخرى فلم يصدر اي تعديل او ما يفيد بان سياسة الحزب الشيوعي المركزية تتناقض او تختلف مع ما صرح به بشير البرغوتي لاكثر من اعتبار :

١ـ اشتراك الحزب الشيوعي في قيادة « الجبهة الوطنية الفلسطينية » وهي احدى مؤسسات منظمة التحرير ، وما لذلك من مترتبات تتعلق بالبرنامج السياسي للمنظمة والنظرة الى اسلوب الكفاح المسلح .

٢ـ طبيعة الظرف الذي تمر به القضية الفلسطينية ، حيث ان الهجمة الامبريالية الرجعية الصهيونية لم تتوقف : ان على صعيد عسكري او سياسي ، في الوقت الذي تسجل فيه حركة التحرير العالمية انتصارات ساحقة ضد الامبريالية وحكوماتها العميلة في جنوب شرقي اسيا ، حيث تدق قبضات مقاتلي « الفيتنام وكمبوديا » ابواب سايغون ، وفنوم بنه محررة اعظم الانتصارات العسكرية والسياسية نتيجة انتهاجها اسلوب الكفاح المسلح .

وعلى صعيد العمليات العسكرية التي ينفذها ثورانا يقول البرغوتي :

« عدت الى وطني ، بموافقة سلطات الاحتلال في ربيع السنة الماضية ، بعد ٢٠ او ٢٥ يوما من قدومي الى هنا علمت بامر الاعتقال الاداري للكثير من الشيوعيين رفاق حزبي ، دهشت كثيرا عندما قرات وسمعت في وسائل الاعلام الاسرائيلية انهم اعتقلوا بسبب اعمال ونشاطات تخريبية (ويقصد بالنشاطات التخريبية ، نشاطات الفدائيين المسلحة ضد الكيان الصهيوني) ، ويضيف : الامر الذي يتناقض وسياسة حزبنا » اذن فسياسة الحزب تتناقض والنشاطات العسكرية لفصائل المقاومة التي تؤمن بالعنف الثوري المسلح لمجابهة عدوان « اسرائيل » المستمر ضد جماهير شعبنا الفلسطيني وحسم تناقضنا التاريخي معه ؟ .

سلطات الاحتلال الصهيونية تقول عن النشاط الثوري لحركة المقاومة الفلسطينية ، وعن الفدائيين الابطال « بانهم مخربون » ، « والرفيق البرغوتي » يصف ـ نشاطات الثورة المسلحة ـ بانها « نشاطات تخريبية تتناقض وسياسة حزبه » .

نريد ان نسال رفاقنا في الحزب الشيوعي الفلسطيني : ما هو التفسير الوطني والنظري لمثل هذا القول الصادر عن : فلسطيني ومناضل . وشيوعي ؟ !

هل هي « زلة لسان » بشير في اتهامه للعمل الفدائي « بالنشاط التخريبي » ، والتي التقى فيها تماما مع ما يطلقه الصهاينة من القاب وأوصاف ضد طلائع شعبنا وابطاله (؟؟ !) ام انها بوعي وادراك ، حيث ان هذه النشاطات الكفاحية المشروعة ـ تعد من وجهة نظر بشير وحزبه « تخريبية » ؟ .

اننا نعتقد انها ليست زلة لسان لبشير البرغوتي ، وانما قيلت بوعي ولها خلفياتها ، واساسها النظري والعملي بدليل ان المعنى قد تكرر في المقابلة تلك ! والا فالموضوع يحتاج لتفسير منطقي ومقبول من الحزب .

وناتي لفقرة ثانية في المقابلة المنشورة في « الاتحاد » يقول البرغوتي « ان الحزب يدعو كما هو معروف ، الى حل سلمي للنزاع الاسرائيلي ـ العربي يتضمن حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني جنبا الى جنب مع حق تقرير المصير للشعب الاسرائيلي وحق قيام دولة اسرائيل » .

وهنا يثار اكثر من سؤال وعلامة استفهام :

١ـ الحزب الشيوعي الفلسطيني (الاردني سابقا) ركنا اساسيا من اركان الجبهة الوطنية الفلسطينية ، وهي احدى مؤسسات منظمة التحرير ، وللحزب الشيوعي مندوبين ممثلين في هذه المؤسسة ويحتلون مواقع قيادية فيها سواء في محطات الجبهة في الداخل او الخارج ، ويشترك الحزب الشيوعي في المجلس الوطني ، والمجلس المركزي الفلسطيني ومن المفترض طالما ان الشيوعيين اصبحوا جزءا من جسم منظمة التحرير ، انهم ملتزمين ببرنامجها السياسي وميثاقها الوطني ، والذي تتناقض كل بنوده ، وكل حرف فيه مع هذه الدعوة العلنية « للرفيق البرغوتي » ، والتي تتضمن « الاعتراف الصريح بحق الشعب الاسرائيلي في تقرير مصيره ، وقيام دولة اسرائيل » ، كما ان اعلان البرغوتي ـ يتناقض بزاوية مقدارها ١٨٠ درجة مع ابسط اوليات المفاهيم والمعايير الوطنية الفلسطينية ، والتي عبرت عنها دساتير ومواثيق وبرامج كل الاحزاب والفصائل الفلسطينية والعربية يمينها ووسطها ويسارها والتي لا تعترف بشيء اسمه « الكيان الصهيوني » ولا بدولة العدوان الاغتصابية ، والانكى من ذلك ـ وحسبما يلتزم به حزب البرغوتي ـ « حل سلمي للنزاع الاسرائيلي العربي ، واعتراف بحق الشعب الاسرائيلي جنبا الى جنب مع حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني » ، ولقد اكدت كل المنظمات بما فيها منظمة التحرير انها ليست ضد اليهودية كديانة ، ولا تعادي السامية ، وانما الجميع شعب ومنظمات عربية وفلسطينية ضد : الحركة الصهيونية « جذورها ، اهدافها ، وممارساتها » الامبريالية التي افرزت الكيان الفاشي الذي طرد شعبنا ، واضطهد ـ ولم يزل ـ جماهيرنا ، ومارس ـ ولم يزل ـ كل انواع القهر ، والاستغلال ، واصبحت هذه المسالة بديهية ومعروفة على كل المستويات ، والبديل المطروح هو دولة فلسطينية ديمقراطية علمية على كامل التراب الوطني الفلسطيني بعد تحريره كاملا ، تضم كل الفئات والملل ، ولها نفس الحقوق وعليها نفس الواجبات ، وبغير ذلك فان كلام بشير البرغوتي يعني الاعتراف بالامر الواقع ، واعطاء الكيان الاستيطاني التوسعي الشرعية ونسف الحق التاريخي لشعبنا الفلسطيني في ارضه ، والثابت منذ عشرات القرون ، وهذه حقيقة مادية وحضارية ، وتاريخية قائمة ولا زالت واي تجاوز او تناسي لها يعد تضليلا وتحريفا لا نقبله ، ويخدم بالتالي دولة العدو .

ماذا يقول الميثاق الوطني الفلسطيني المفترض ان يكون حزب البرغوتي ملتزما به طالما انه جزء من جسم المنظمة ويهتف لها ولقيادتها !؟ يقول : الميثاق في مادته الاولى « فلسطين وطن الشعب العربي الفلسطيني .. » وفي مادته الثانية يقول « فلسطين بحدودها التي كانت قائمة في عهد الانتداب البريطاني وحدة اقليمية لا تتجزا .. » ، ولم يقل الميثاق بامكانية تجزاة الوطن الى وطنين نصفه فلسطيني والاخر اسرائيلي تحت وطاة سياسة الامر الواقع الامبريالية الصهيونية ، وتحت مظلة التبريرات النظرية المرفوضة والعجز النضالي ، والتي تتناقض بالمطلق مع طموحات واماني شعبنا ، ومقاتلينا ، وكل اجيالنا .

٢ـ نريد ان نسال هل هذا الموقف يعبر عن حقيقة موقف قيادة منظمة التحرير ، ولكن الجهة التي تتولى الاعلان عنه ، بشير والحزب الشيوعي والجبهة الوطنية ؟ ام انه موقف انفرادي لبشير البرغوتي ؟

٣ـ يتضمن البرنامج السياسي للجبهة الوطنية الفلسطينية الذي وقع عليه الحزب الشيوعي الفلسطيني في آب ١٩٧٣ ، بندا يتعلق باستخدام كافة اساليب النضال ومن ضمنها الكفاح المسلح كما تنص المادة الثالثة من البرنامج السياسي للجبهة الوطنية على « رفض جميع المشاريع التامرية التي تستهدف تصفية قضية شعبنا العربي الفلسطيني ، والتفريط بحقوقه سواء منها المشاريع الصهيونية مثل الكيان الفلسطيني ، والادارة المدنية ، والحكم الذاتي ومشروع الون او مشروع الملك حسين ، والحلول الاميركية وما شاكلها من التسويات التصفوية والاستسلامية » فهل الدعوة الناسفة الجديدة تعتبر تخليا من الحزب الشيوعي عن الالتزام ببرنامج الجبهة الوطنية ، ومبادرة تراجعية عن الالتزام « باستخدام كافة اساليب النضال ومن ضمنها الكفاح المسلح » ؟ـ ثم هل اصبح مفهومهم للعمل الوطني يمارس بمنطق « براجماتي » وترجمة مخلصة من قبلهم لسياسة التذبذب والرقص على حبال المؤسسات الوطنية المطروحة ؟ـ ان مثل هذا التلون يدعونا لعدم الثقة في قدرة رفاقنا الشيوعيين الفلسطينيين في الالتزام باي برنامج وترجمته حسب مواده ونصوصه وبما يتفق وطموحات جماهيرنا المتطلعة للتحرر والعودة ؟

ان هذا الموقف اذا سلمنا ان بشير البرغوتي هو الناطق باسم الحزب ، نعتبره ادانة من « الشيوعيين الفلسطينيين » لاسلوب الكفاح المسلح وطريق حرب التحرير الشعبية ، ومناقضا على طول الخط لما ورد في الميثاق الوطني والبرنامج السياسي للمنظمة والجبهة الوطنية التي يشترك فيها الحزب الشيوعي الفلسطيني (الاردني سابقا) .

يقول الميثاق في مادته التاسعة ، بعد ان حدد ان المرحلة التي يعيشها الشعب الفلسطيني هي مرحلة الكفاح الوطني لتحرير فلسطين : « الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين ، وهو بذلك استراتيجية وليس تاكتيكا ، ويؤكد الشعب العربي الفلسطيني تصميمه المطلق وعزمه الثابت على متابعة الكفاح المسلح والسير قدما نحو الثورة الشعبية المسلحة لتحرير وطنه والعودة اليه ، وعن حقه في الحياة الطبيعية فيه ، وممارسة حق تقرير مصيره فيه والسيادة عليه »

هذا هو طريق الشعب الفلسطيني « استراتيجية الكفاح المسلح ، وليس استراتيجية « الحل السلمي وحق تقرير المصير للشعب الاسرائيلي ، وحقه في اقامة دولة اسرائيل » .